تافزا، مجلة الدراسات التاريخية والاثريّة المجلّد: 5 العدد: 1 . افريل 2025. ص ص: 7 - 14
ISSN : 2773-3335 EISSN : 2800-1761

أثر الرحلات العلمية في تكوين نخب المغرب الأوسط خلال القرن الثامن الهجري (14م)

Impact of scientific trips on the formation of the ; Maghreb Central elites during the eighth century Hijri (14 m)

بشير مبارك[1]*

[1] المركز الجامعي عبد الله مرسلي تيبازة، الجزائر
Mebarek.bachir@cu-tipaza.dz

مخبر الدراسات التاريخية والأثرية

تاريخ الاستلام: 2025/02/18، **تاريخ القبول:** 2025/02/23، **تاريخ النشر:** 2025/04/02

ملخص:

تهدف الورقة البحثية إلى الحديث عن الرحلة في الإسلام خاصة العلمية منها، مع التركيز على رحلات ساكنة المغرب الأوسط من العلماء إلى مختلف الحواضر مشرقا ومغربا، وتأثير ذلك على تكوين نخب وقامات علمية كان لها أثر إيجابي على الحياة العلمية والفكرية في الدولة الزيانية .

تلك الرحلات ساهمت في بروز نخبة من العلماء أصبحوا فيما بعد أطر كونوا طلبة المغرب الأوسط وغيرهم من الطارئين على البلد في صورة ابني الامام والآبلي وغيرهما كثير .

الكلمات المفتاحية: الرحلة العلمية؛ المغرب الأوسط؛ المشرق، تلمسان الزيانية؛ الحواضر العلمية .

Abstract:

The research paper aims to talk about the Trip in Islam, especially scientific ones, focusing on the travels of the Central Maghreb inhabitants from scientists to various cities in the Islamic ; Mashreq and Maghreb, and its impact on the formation of scientific frameworks that have had a positive impact on the scientific and intellectual life of the Ziyanide State**.**

Those trips contributed to the emergence of an elite of scientists who later became the frames of the students of ; Maghreb Central and other emergents on the country in the image of the children of Imam, Ably and many others.

Keywords: Scientific Journey; Maghreb Central; Mashreq; Tlemcan Zayaniyah; Scientific Urban.

*مبارك بشير

تافزا، مجلة الدراسات التاريخية والاثريّة المجلّد: 5 العدد: 1 . افريل 2025. ص ص: 7 - 14
ISSN : 2773-3335 EISSN : 2800-1761

تمهيد/ مقدمة :

الرحلة العلمية من المواضيع الجديرة بالبحث والدراسة، علما أن الرحلات في الإسلام كانت لعدة أغراض إما رحلة استكشافية في إطار المغامرة، أو رحلة دينية لأداء مناسك الحج، أو رحلة علمية لملاقاة المشايخ وكبار العلماء .

ولما كان المغرب الأوسط جزء من العالم الإسلامي في شطره الغربي ارتحل ساكنته كثيرا خاصة منهم طلبة العلم إلى مختلف الحواضر الإسلامية في صورة فاس، وقرطبة وتونس والأزهر، وبغداد ... لغاية التحصيل العلمي .

اعتبارا لذلك جاءت ورقتي البحثية موسومة بـ :" أثر الرحلات العلمية في تكوين نخب المغرب الأوسط خلال القرن الثامن الهجري (14م)"

خلالها سأتحدث عن الرحلة في الإسلام، واهتمام طلبة المغرب الأوسط من أجل النهل من معارف وعلوم مختلف الحواضر، ثم أقدم نماذج عن كبار علماء المغرب الأوسط الذين ساهمت الرحلة في تكوينهم .

تطرح الورقة البحثية إشكالية رئيسة هي: علاقة الرحلة بازدهار المغرب الأوسط علميا وفكريا، تتفرع عنها تساؤلات ثانوية منها:

- ما طبيعة الرحلة في الإسلام؟
- هل اهتم ساكنة المغرب الأوسط بالرحلة في طلب العلم؟
- كيف أثرت الرحلة في صقل مواهب هؤلاء؟
- ما الأثر المسجل لهؤلاء المرتحلين على المغرب الأوسط .

للإجابة عن تساؤلات الورقة البحثية كان لا بد من اعتماد منهج تاريخي هاص يجمع بين الوصف والتحليل والمقارنة ومقابلة النصوص مع بعضها البعض .

1- الرحلات العلمية إلى البلاد الإسلامية:

اعتنى المسلمون بالرحلة في سبيل طلب العلم عناية كبيرة، خصوصا خلال الفترة التي عرفت توسع الفتوحات الإسلامية، هذه الأخيرة صاحبها تفرق الأئمة من العلماء في الأقطار النائية التي تم فتحها، فكان الناس يرحلون في طلب الحديث النبوي قبل تدوينه في الكتب المصدرية، هذا ما سار عليه السلف الصالح، حيث زاد اهتمامهم بالارتحال لأجل طلب العلم من بلد لآخر، خصوصا فيما تعلق بجمع السنة النبوية خوفا من الكذابين والوضاعين والزنادقة والمارقين،(محمد أطلس، 1957، 157-158) ووجد من التابعين ومن بعدهم جماعات يعقدون مجالس علمية أمثال (أبي حنيفة، والشافعي، ومالك بن آنس)، فارتحل إليهم الناس من كل أقطار الدولة الإسلامية، وكانت بلاد الحجاز في القرن الأول الهجري (07م) قبلة لهؤلاء، ومع بداية القرن الثاني هجري (08م) أخذت الرحلات تتوسع إلى كامل ديار الإسلام، حيث شهد هذا القرن توسع رقعة البلاد الإسلامية، فاستقر أهل الحجاز بمناطق عديدة كالفسطاط ، والبصرة، والكوفة وبغداد وغيرها من الحواضر العلمية .

طالب العلم لا يمكنه أن يعتمد على شيخ واحد في أخذ مختلف فنون العلوم، بل يجب عليه مخالطة الشيوخ حتى يعرف مقدار شيخه ويتمكن من التحصيل خصوصا بمباشرتهم فقد قيل: " إذا أردت أن تعرف مقدار شيخك جالس غيره" .

خصوصا أنّ الرحلة في طلب العلم من الأمور المحمودة لما لها من مزايا، كالاطلاع على أحوال الدنيا، ومعرفة أوضاع الشعوب الإسلامية، وتقاليدها وتوسيع الثقافة العامة، وفوائدها جمّة منها: " ضمان سلامة المنهج النقلي وذلك عندما يقع تصحيح المتون المروية ووصل أسانيدها بأصحابها لتكون أساسا صالحا للبحث والدرس وبناء الأحكام عليها، وثانيها تصحيح منهج التفكير وبناؤه على أثبت القواعد"(القلصادي أبو الحسن، 1978، 60) لقد تكلم البعض عنها فوصفها: بأنها السبب في كمال التعليم، فخلالها يلتقي الطالب بالشيخ ويأخذ عنه مباشرة، فتحصل له الملكات عن طريق المباشرة التي تكون أشد وأقوى رسوخا من الإلقاء والمحاكاة.

يقول ابن خلدون عن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة أنها مزيد الكمال في التعليم "والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلونه من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشدّ احتكاما وأقوى رسوخا فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها...فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده في تمييز الاصطلاحات...يصحح معارفه ويميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين... فالرحلة لا بد منها في طلب العلم، لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"(ابن خلدون، عبد الرحمن، 2004، 559-560) .

2- اهتمام نخب المغرب الأوسط بالرحلة العلمية:

طلبة المغرب الأوسط رغم نبوغ عدد كبير منهم في ديارهم إلا أنّهم كانوا يرتحلون إلى المغرب الإسلامي والمشرق الإسلامي والأندلس، فلم تكن حلقات العلم بديارهم كافية لتشبع نهمهم العلمي، (محمد أطلس، 1957، 157-158)فشدّوا الرحال إلى العواصم العلمية الكبرى لإتمام تعليمهم، كغرناطة، وفاس، ومراكش، وتونس، والقاهرة، وبغداد، وزاروا معاهد الشام، ومكة المكرمة، حيث انتقلوا إلى تونس للتحصيل عن علماء الزيتونة، وإلى فاس للإجازة عن علماء القرويين، ومصر للأخذ عن شيوخ جامع الأزهر، وانتقلوا إلى مدارس غرناطة، ومراكز التعليم بالمدينة المنورة ومكة المكرمة، هذه الأخيرة كان الداعي إليها بالدرجة الأولى قبل كل شيء أداء فريضة الحج، ومن ثمَ التعمق في دراسة الفقه وأصوله والاطلاع على المدارس النحوية واللّغوية.(ابن الذيب عيسى، 2007، 154)

يُرْجِع البعض هذه الرحلات إلى مختلف الأقطار الإسلامية لأسباب عدة منها:" أنّ المغرب الأوسط عرف فائضا في العلماء زاد على حاجة الحواضر التي تركز فيها التعليم ولا سيما العاصمة تلمسان، حيث تكونت فيها طبقة علماء من مختلف البيوتات العلمية من أسر ابن مرزوق، المقري، العقباني، ابن زاغو وغيرهم، هذه البيوتات كان لها دور كبير في ازدهار الحياة العلمية، فخرجت عددا كبيرا من العلماء، ولأنهم ألفوا حياة المدينة فلم يكن من السهل عليهم الرحيل إلى الريف، لذلك هاجروا إلى بقية الحواضر الإسلامية، كما يرجعها البعض الآخر إلى اضطراب الوضع السياسي وكثرة الفتن بسبب النزاع المستمر على الحكم" (العيد مسعود، 59،1980-60).

زيارتهم لهذه الحواضر جعلتهم يلتقون بالعلماء فيأخذوا عنهم ويشاركونهم وينافسونهم في الحلقات العلمية، فتركوا آثارا علمية وبصمات فكرية وسمعة عند أهل المشرق والمغرب والأندلس (عبد العزيز فيلالي، 2007، 327)، وبعد أن حصّلوا العلوم عادوا إلى أوطانهم بعلم غزير بثّوه بين الطلبة، مثل ابني الإمام وابن مرزوق الخطيب والحفيد (شاوش الحاج، 1995، 406).

تافزا، مجلة الدراسات التاريخية والاثريّة المجلّد: 5 العدد: 1 . افريل 2025. ص ص: 7 - 14
ISSN : 2773-3335 EISSN : 2800-1761

لا شك أن دوافع الرحلة تختلف من شخص لآخر إلا أنّ المقصد العلمي كان هو الأقوى، فأكثروا من الحضور في المجالس العلمية للتحصيل وذلك بالإكثار من مجالسة الشيوخ، حيث تمكن الطلبة بعد الرجوع من مختلف الحواضر العلمية من إدخال العديد من المؤلفات التي أصبحت تدرس بمدارس ومساجد هذا القطر، منها ما هو أندلسي ومنها ما هو مشرقي من بينها مختصر ابن الحاجب(عبد الرحمن ابن خلدون، 2004، 37-38) في الأصول والفروع أتى به أبو علي ناصر الدين المشدالي إلى بجاية وأقره على طلبة مدارسها، ثم نقله تلميذه أبو موسى عمران المشدالي إلى تلمسان، إضافة إلى كتاب مختصر ابن إسحاق المالكي، أما المؤلفات الأندلسية بالمغرب الأوسط فهي كثيرة اعتمدها الطّلاب والأساتذة في دراساتهم وأبحاثهم، وبهذا تغذت الثقافة بالمغرب الأوسط من رافدين الأندلس والمشرق(ابن الذيب عيسى، 2007، 154) .

تلك الرحلات ساهم سلاطين بني زيان في تشجيع الطلبة عليها خاصة إلى البلاد الإسلامية فعملوا على تمتين العلاقات مع جيرانهم بالمغرب الأدنى والمغرب الأقصى والأندلس والمشرق، خصوصا في الميدان الثقافي، وحتى من خلال النشاط الدبلوماسي بتبادل الرسائل سواء الديوانية أو الإخوانية، وكذلك الرحلات العلمية والحج، هذه السياسة كان لها انعكاس وتأثير إيجابيين أدّى إلى تجانس علمي وفكري، فكان داعما للروابط الثقافية بين هذه الأقطار(ابن الذيب عيسى، 2007، 152).

من نتائج ذلك أن ازدهرت الحياة العلمية بالمغرب الأوسط، فجل الطلبة الذين انطلقوا منه إلى باقي الأقطار الإسلامية أين أخذوا العلم، وتحملوا مشاق وعناء السفر في سبيل الدرس والتحصيل العلمي حتى أصبحوا شيوخا وعلماء، وبهذا كانت الرحلات العلمية قد ساهمت بقسط كبير في ازدهار الحركة الثقافية والفكرية، حيث عرف المغرب الأوسط أسر علمية شهيرة مثل آل التنسي، وآل الإمام، وآل المقري، وآل الشريف التلمساني وغيرهم، تخرج بفضلها جيل من العلماء أكملوا المسيرة العلمية في الدولة الزيانية، فكانت الفترة الممتدة بين القرن السابع الهجري والثامن الهجري (13م-14م) من أزهى وأرقى المراحل الثقافية والفكرية للمغرب الأوسط .

3- نماذج من طلبة المغرب الأوسط الذين ارتحلوا لأجل التحصيل العلمي:

ما عرف على طلبة المغرب الأوسط عموما والعاصمة تلمسان خصوصا أنّهم شدّوا الرحال إلى مختلف أنحاء الحواضر الإسلامية المغربية والمشرقية والأندلسية، لرغبتهم الكبيرة في التحصيل العلمي على يد كبار مشايخ تلك الحواضر، حتى أصبحوا شيوخا وعلماء، كان لهم الأثر الكبير في إثراء الجانب الفكري والثقافي خلال العهد الزياني، والنماذج التي سنذكرها تعطي انطباعا واضحا على رغبة الطلبة بهذا القطر في طلب العلم والرحلة من أجله، فمنهم من كان يتفقه بموطنه الأصلي ثم يرتحل لطلب العلم والتكوين، ومن هؤلاء نذكر:

أ- ابني الإمام:

أبو زيد وأبو موسى عالما وشيخا المغرب الأوسط، كان أبو زيد أكبر الأخوين، أصلهما من برشك، ارتحلا في شبابهما بعد مقتل أبيهما من قبل المتغلب على تنس زيرم بن حماد، فشدا الرحال إلى تونس حيث درسا على تلامذة ابن زيتون، وتفقها على يد أصحاب أبي عبد الله بن شعيب الدكالي، وتصف لنا بعض المصادر رحلتهما إلى تونس وأهم الشيوخ الذين أخذوا عنهم " وارتحلا ابناه الأخوان إلى تونس في المائة السابعة وأخذا العلم عن تلاميذ ابن زيتون وتفقها على أصحاب أبي عبد الله بن شعيب الدكالي"(ابن خلدون عبد الرحمن، 2004، 46) ،كما أخذا بها على"ابن جماعة وابن القطان والبطريني" (ابن مريم، د ت، 123) وبعد أن أخذا العلم من تونس رجعا إلى المغرب الأوسط بحظ وافر من العلم،

فأقاما بجزائر بني مزغنة يبثان العلم بين طلبتها، وبعد سيطرة بني مرين على بعض أعمال تلمسان، ارتحلا إلى مليانة حيث قرّبهما الكاتب منديل بن محمد الكناني واتخذهما لتعليم ولده محمد، وبعد عودة السيطرة الزيانية على المغرب الأوسط ومقتل يوسف بن يعقوب، دخلا تلمسان مع محمد الكناني المذكور الذي أوصلهما إلى السلطان الزياني أبي حمو، وذكر له سيرتهما الحميدة ومرتبتهما في العلوم، فاستقبلهما وفرحا بمقدمهما، وابتنى لهما مدرسة عرفت باسميهما، فشرعا يبثان العلم بين الطلبة الوافدين إلى العاصمة تلمسان،(ابن مريم، د ت، 123) ولم تتوقف رحلتهما العلمية هنا بل ارتحلا إلى المشرق في حدود سنة (720هـ/1320م)، فأخذا العلم عن علاء الدين القونوي وجلال القزويني، ولم يكتفيا بأخذ العلم بل كانت لهما بصمات في المجالس العلمية التي كانت تعقد هناك "حيث ناظرا تقي الدين بن تيمية حتى ظهرا عليه..."(ابن خلدون، 2004، 47) .

ب- الآبلي:

محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري الشهير بالآبلي أصله من الأندلس من أهل أبلة من بلاد الجوف ومنها انتقل أباه إلى تلمسان أين استقبله يغمراسن بن زيان وأصهره في ابنته فولدت له محمدا هذا، نشأ بتلمسان في كفالة جده ومال إلى انتحال العلم ولد سنة (681هـ/ 1282م)(ابن مريم، دت، 15) وصفته النصوص بالإمام العلامة المجمع على إمامته، أعلم خلق الله في الفنون، جاب مختلف الحواضر لطلب العلم، كانت له رحلة علمية إلى تونس والإسكندرية و البقاع المقدسة والعراق، حيث التقى بجماعة من الشيوخ فأخذ عنهم، تذكر لنا كتب التراجم وكتب الرحلات رحلته من تلمسان إلى مختلف الحواضر العلمية المشهورة آنذاك وأهم الشيوخ الذين التقاهم وأخذ عنهم، ولد بتلمسان في كفالة جده القاضي ابن غلبون فمال إلى انتحال العلم منتحل أبيه فسبق إلى ذهنه محبة التعاليم،(ابن مريم، د ت، 214) وبها أخذ على مجموعة من الشيوخ "فأخذ عن جده لأمه القاضي ابن غلبون وعن أبي الحسن التنسي"،(ابن خلدون يحيى، 1980، ج01، 17) ولما أخذ يوسف بن يعقوب تلمسان أراد استخدامه فكره ذلك وسار قاصدا الحج قال: "لما ركبت البحر من تونس إلى الإسكندرية...وقدمت إلى الديار المصرية وبها ابن دقيق العيد وابن الرفعة والصفي الهندي...من فرسان المعقول والمنقول، حججت ورجعت إلى تلمسان وانبعثت إلى تعلم العلم" ،(ابن مريم، د ت، 214).

بتلمسان زاد في تكوينه العلمي حيث قرأ على أبي موسى ابن الإمام، كما أخذ عن شيوخ آخرين بها "...ولما عاد إلى المغرب استقر الآبلي بتلمسان وعين في منصب قهرمان القصر(أي الإشراف على شؤون القصر المالية) وكان في تلك الأثناء يتابع دراسته ويأخذ بالخصوص عن أبي موسى ابن الإمام"(ابن خلدون يحي، 1980، 17).

لم يرض الآبلي بالعمل في المناصب السياسية، وكان اهتمامه كله منصب حول طلب العلم حيث رفض تعيين الأمير أبو حمو موسى الأول له في عمل إداري وفضل مغادرة تلمسان لطلب العلم حيث توجه إلى فاس ومراكش أين التقى مجموعة من الشيوخ الذين أخذ عنهم " ثم رأى أبو حمو الأول أن يعين الآبلي في عمل إداري هام بمنطقة بني راشد،(ليون الافريقي، 1983، ج02، 26) .

إذن لم يرض الآبلي الاشتغال بالسياسة بل فضّل الاشتغال بالعلم ولم ير وسيلة للتخلص بها من الوظائف الإدارية سوى مغادرة تلمسان"،(ابن خلدون يحي، 1980، 17) حيث استقر بفاس ثم مراكش، أين أخذ عن مجموعة من

تافزا، مجلة الدراسات التاريخية والاثريّة المجلّد: 5 العدد: 1 . افريل 2025. ص ص: 7 - 14
ISSN : 2773-3335 EISSN : 2800-1761

شيوخهما، أبرزهم ابن البناء (التنيكتي أحمد بابا، 2000، 82-84) شيخ المعقول والمنقول المبرز في التصوف فلازمه وتضلع عليه في علم المعقول "...مغادرة تلمسان والتوجه إلى فاس ولم يطل مقامه بها إلا لبضعة أشهر قضاها عند يهودي كان متضلعا في التعاليم يدعى خلوف المغيلي ثم انتقل إلى مراكش سنة عشرة وسبعمائة، وأخذ عن العالم أبي العباس بن البناء صاحب المؤلفات الشهيرة في الحساب والتنجيم وطال مقامه بمراكش مما جعله يتمكن من إتمام تكوينه في التعليم..."(ابن خلدون يحيى،1980، 17).

استمرت رحلته في طلب العلم حيث "...وبعد وفاة شيخه ابن البناء سنة (721هـ/1321م) توجه إلى جبال السوس الأقصى واتصل هناك بشيخ قبيلة هسكورة- محمد بن ترومیت- مكث سنوات قضاها في التعليم والبحث، ثم انتقل إلى فاس وأقام بها ونشر التعاليم، قصده كثير من الطلبة..." (ابن خلدون يحيى،1980، 18).

كان للآبلي مكانة كبيرة في البلاط المريني على عهد حكم أبي الحسن المريني، هذا الأخير صحبه معه في تحركاته إلى المغرب الأوسط سنة (735هـ/1334م) وتونس سنة (748هـ/ 1347م)(ابن خلدون يحيى،1980، 18).

من خلال ما سبق يظهر جليا دور الآبلي في نشر العلوم بين طلبة المغرب الأوسط سواء بالعاصمة تلمسان أو بالحواضر الأخرى كبجاية، حيث استقر بها مدة يدرس طلبتها ويقرؤهم مجموعة من الكتب، كمختصر ابن الحاجب "...وارتحل إلى بجاية وأقام بها شهرا حتى قرأ عليه طلبتها مختصر ابن الحاجب..." ،(ابن مريم، د ت، 215). كان للآبلي دور كبير في تكوين العلماء والمؤرخين الذين ساهموا في ازدهار الحياة العلمية بالمغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة، نذكر منهم على وجه الخصوص الأخوين عبد الرحمن ويحيى ابنا خلدون، حيث كان له الفضل الكبير في تكوينهما خاصة في العلوم العقلية والطبيعية)(ابن خلدون يحيى،1980، 18).

ت- إبراهيم بن يخلف التنسي المطماطي:

عالم كبير من أهل تنس، في البداية درس بمسقط رأسه، ثم قصد الحج وفي طريقه التقى بمجموعة من العلماء والشيوخ بتونس، ومصر، والشام، والحرمين الشريفين، ولما عاد إلى وطنه عظمت مداركه واتسعت معارفه، وصارت الفتوى ترده من بلاد المغرب كلها، كان يتردد على تلمسان أيام السلطان يغمراسن بن زيان فحبب له الاستقرار بها(عبد الوهاب منصور، 1979، 106-107) فأبى ذلك لكن في الأخير استقر بها وأخذ يبث علمه بين طلبتها وقصده العلماء للرواية والسماع، تخرج على يده طبقة من العلماء أشهرهم محمد بن الحاج العبدري الفاسي(عبد الوهاب منصور، 1979، 106-107).

ث- ابن مرزوق التلمساني الشهير بالخطيب:

هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني الشهير بالخطيب"(محمد بن مخلوف، د ت، 336) نشأ بتلمسان، ارتحل مع أبيه إلى المشرق، ورجع إلى تلمسان سنة (735هـ/1334م)، فوجد أن السلطان أبا الحسن قد شيّد بالعباد،(ابن مريم، د ت، 24). مسجدا، وعين عمه محمد بن مرزوق خطيبا به ، ولما توفي هذا الأخير أخذ مكانه، وبعد مدة غادر المغرب نحو القاهرة أين أكمل ما بقي من عمره وتوفي بها سنة (781هـ/1379م)، وتصف لنا بعض كتب الرحلة حياة ابن مرزوق "...ارتحل مع أبيه إلى المشرق وجاور أبوه الحرمين الشريفين ورجع هو إلى القاهرة فأقام بها

وقرأ على برهان الدين السفاقسي...رجع سنة خمس وثلاثين إلى المغرب، ولقي السلطان أبا الحسن بمكانه في تلمسان وقد شيّد بالعباد مسجدا عظيما وكان عمه ابن مرزوق خطيبا به...وتوفي وولاه السلطان خطابة ذلك المسجد مكان عمه...أجمع الرحلة إلى المشرق فسرحه السلطان...ونزل بالإسكندرية ثم ارتحل إلى القاهرة ولقي أهل العلم...ولم يزل مقيما بالقاهرة...ملازما للتدريس إلا أن هلك سنة واحد وثمانون وسبعمائة"(ابن خلدون عبد الرحمن، 2006، 60-64).

ج- ناصر الدين المشدالي:

هذا العالم كانت له رحلة إلى بعض الأقطار الإسلامية منها مصر حيث تتلمذ وأخذ العلم هناك على علمائها، ولما عاد إلى المغرب الأوسط وبجاية بالضبط نقل إليها وإلى المغرب الإسلامي منهجا جديدا في المذهب المالكي، القائم على أساس الترجيح وهو مقياس الفتوى والعمل " فكان الفقهاء يطبقون الأحكام الشرعية على الوقائع بمراعاة الأحكام من الظروف الزمانية والمكانية، ثم إذا رأوا قصور هذا المنهج عدلوا عن القول المشهور إلى قول غيره اجتهادا منهم واستحسانا للمصالح الشرعية..."(المهدي البوعبدلي، دت، ع 19، 138) وهذا التغيير الواضح في المنهاج ناتج عن ما أحدثه مختصر ابن الحاجب الفقهي الذي جمع ستة وستين مسألة، وكان اتصال هذا المختصر ببلاد المغرب الإسلامي عن طريق ناصر الدين المشدالي الذي أدخله إلى بجاية ونشره بين تلامذتها ومنها إلى تلمسان فدرس بمدارسها ثم انتقل إلى باقي أقطار المغرب..."(المهدي البوعبدلي، دت، ع 19، 140).

خاتمة:

خلصت الورقة البحثية إلى جملة من النتائج منها:

- الرحلة مكملة لملكة التعليم لما لها من ميزة ملاقاة الشيوخ والأخذ عنهم.
- لا غرابة ان اهتم المسلمون بالرحلة في طلب العلم فدين الإسلام دعا إليها .
- في هذا الإطار كان لنخبة من ساكنة المغرب الأوسط رحلات كثيرة إلى مختلف الحواضر العلمية في العالم الإسلامي للنهل منهم .
- تلك الرحلات كان لها أثر بالغ في تكوين أطر محلية في المغرب الأوسط.
- تلك الأطر لعبت دورا محوريا في دفع عجلة ازدهار الحياة العلمية .

قائمة المراجع:

ابن خلدون عبد الرحمن (ت 808هـ/ 1406م)، (2006)، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المجلد السابع، ط02، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

ابن خلدون عبد الرحمن (ت808هـ)، (2004)، مقدمة، بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

ابن خلدون يحي أبي زكرياء (1980)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج01، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور عبد الحميد حاجيات، الجزائر، المكتبة الوطنية.

ابن مريم المديوني التلمساني، (د ت)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر .

أطلس محمد سعد، (1957)، التربية والتعليم في الإسلام، ط 01، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين.

التنبكتي احمد بابا، (2000)، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس بالدباج، ج01، دراسة وتحقيق الأستاذ محمد مطيع، المحمدية، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة.

شاوش الحاج محمد بن رمضان، (1995)، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية .

عيسى ابن الذيب وآخرون، (2007)، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

فيلالي عبد العزيز،(2007)، تلمسان في العهد الزياني دراسة سياسية عمرانية اجتماعية ثقافية، الجزائر، موفم للنشر.

القلصادي أبو الحسن علي الأندلسي (ت 891هـ) (1978)، رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق، محمد أبو الأجفان، قرطاج، تونس، الشركة التونسية للتوزيع .

ليون الإفريقي الحسن بن محمد الوزان الفاسي(1983)، وصف إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية، محمد حجي، محمد الأخضر، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

منصور عبد الوهاب، (1979)، أعلام المغرب العربي، الرباط، المطبعة الملكية.

المهدي البوعبدلي، (د ت)، " الحياة الفكرية ببجاية على عهد الدولتين الحفصية والتركية وآثارها"، مجلة الأصالة، العدد 19، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر، العدد 19.